زخرفة ورقة العنب الآشورية

أ.م.د حسين ظاهر حمود* م.د غسان مردان حجي النجاري* *

تاريخ التقديم: 16/ 3/ 2009 تاريخ القبول: 1/ 4/ 2009

المقدمـــــة

كان للعنب أهمية واضحة من الناحية الاقتصادية في بلاد الرافدين، إذ حفلت النصوص بإشارات كثيرة إلى شهرة هذه الفاكهة وسعة زراعتها واستخدامها في أرجاء البلاد، ونظراً لأهميتها في حياة الإنسان جاء في قوله تعالى (يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ)، وورقة العنب عبارة عن نبات متسلق بساقه ومحاليفه وهو بطبيعته متساقط الأوراق وتخرج أزهاره على هيئة عناقيد صغيرة أو كبيرة مصفرة اللون، وقد تختلف ثمارها وأحجامها وأشكالها، ولها فائدة كبيرة يؤكل قسم منه طازجاً والقسم الآخر زبيباً، واستمد الآشوريون من الطبيعة التي كانوا يعيشون فيها عناصر الزخرفة الفريدة وتنوع ألوانها بالمشاهد والتأثيرات المفعمة بالحياة، إلى ذلك كانت هذه الدراسة تبحث عن زخرفة أوراق العنب وثمارها على المشاهد الفنية وأساليب تنفيذها على المنحوتات والرسوم عند الآشوريين، وفضلاً عن أصولها والغرض من تنفيذها وتأثيراتها على الفنون الأخرى، فقد كان الفنان الآشوري مبدعاً نتيجة الخبرة المتراكمة في تنفيذ الأعمال الفنية وإحساسه بجمال الطبيعة والانجذاب نحو كل ما هو بديع وتوظيفه في تزيين المنحوتات والرسوم الجدارية، وفضلاً عن الدافع النفسي المتمثل بالقضاء على الفراغ المحيط بالمشهد المنفذ فوق سطوح الأعمال الفنية، إذ نفذ الفنان الآشوري زخرفة أوراق العنب وثماره في أعماله الفنية المتنوعة بدقة واضحة، والمتأمل في مشاهد هذه الزخرفة يلاحظ أنها تعبر عن مرحلة تطورية في تاريخ الفن، كما تشير إلى قدم أصولها الفنية والقواعد التي ترسخت عليها عبر العصور، فقد استطاع ذلك الفنان أن يعبر

* قسم الآثار/ كلية الآثار/ جامعة الموصل.
* * قسم الآثار/ كلية الآثار/ جامعة الموصل.

عن إبداعاته، وأصبح لعنصر زخرفة أوراق العنب وثماره اثر بارز في حياة وأعمال الفنان الآشوري ويعكس امتلاكه خبرة متراكمة ورثها ممن سبقه من الفنانين وصولاً إلى العصر الآشوري الذي أتسم بالأبهة والفخامة في مجال تنفيذ الأعمال الفنية خصوصاً و أصبحت تلك الأعمال رمزاً لحضارة بلاد الرافدين العريقة، وكان لهذا أيضاً أثرٌ بارزٌ في الفنون المصرية القديمة والإغريقية.

أصول زخرفة ورقة العنب (1)

يعد هذا العنصر من العناصر المهمة التي لها تأثير نفسي مبهج عند الإنسان الذي يميل بطبعه إلى التأمل بما يحيط به من الأشجار والنباتات، وتصبح الطبيعة وما فيها مصدر إلهامه وتنمية خياله ومنها استنبط عناصره الفنية ووحداته الزخرفية[2]. ونظراً لجمالية أوراق العنب وثمارها نفدت على هيئة زخرفة رائعة على مشاهد الأعمال الفنية المتنوعة في العصر الآشوري[3].

وجاء ذكر العنب في النصوص السومرية بالصيغة الآتية (GIŠTIN) يرادفها في الأكدية صيغة (karańu) ويرادف هذه الصيغة في اللغة العربية تسمية (الكرم) أو (الكروم)[4]. مما يشير إلى معرفة العراقيين القدماء الزراعة منذ بداية (الألف الثالث قبل الميلاد)[5]. وعلى الرغم من المعرفة المبكرة لزراعة العنب في

(1) بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة (العناصر الزخرفية في الفن الآشوري الحديث)، غسان مردان حجي، بإشراف: د. حسين ظاهر حمود.

(2) Reade, J, E, the Ziggurat and temples of Nimrud, Iraq, Vol IXI V, 2002, P. 28.

(3) باقر، طه، الزراعة والبساتين في العراق القديم، مجلة الزراعة العراقية، مجلد 7، 1953، ص54

(4) CAD: Vol. 11. P. 202.

(5) الدليمي، كريم عزيز حسن، الزراعة في العراق القديم منذ عصر فجر السلالات حتى نهاية العصر

تاريخ العراق القديم وسعة انتشارها بشكل محدد في فن الزخرفة آنذاك، إلا أن هذا العنصر الزخرفي شاع استخدامه على مشاهد فن العصر الآشوري[1]. إلى ذلك فان المشاهد الفنية المكتشفة نادرة من العصر الأقدم عن زخرفة العنب وأوراقه، وان معظم المشاهد الزخرفية لأوراق العنب تنحصر في العصر الآشوري الحديث (911 . 612 ق. م)، إذ لا ترينا المشاهد الفنية السومرية والبابلية المكتشفة لزخرفة ورقة العنب وربما لقلة تلك المنحوتات بالمقارنة مع ما تم كشفه في العصر الآشوري الحديث [2]. فقد أصبح لفن الزخرفة أهمية عند الفنانين الآشوريين، وأخذت مجالاً واسعاً في نتاجاتهم الفنية، وخاصة في مجال الزخرفة على المنحوتات والرسوم الجدارية والمنحوتات المعدنية[3].

سبقت الإشارة إلى أهمية استخدام زخرفة أوراق العنب وثماره على المشاهد الفنية الآشورية والتكرار لتنفيذه مع الأعمال الفنية، لإيحاء العامل التزييني فضلاً عن العامل الفكري والديني المتمثل بالخصب والتجدد والعطاء[4]. وبذل الفنان الآشوري آنذاك جهداً كبيراً في غاية الدقة والنظام في تنفيذ تلك الأعمال الفنية[5]. كان الفنان الآشوري موفقاً في نقل واقع طبيعة بلاد آشور التي كان يعيش فيها إلى أعماله ومنها تنفيذه وبوضوح ورقة العنب أو عناقيد العنب على المنحوتات والرسوم وتجسيدها بزخرفة أنيقة[6]. ومما زاد أناقة وزينة هذا العنصر أن الفنان الآشوري لجأ إلى استخدام مبدأ التناظر والتماثل في تنفيذ تلك الزخرفة من أجل إلقاء المزيد من الجمالية والزينة في عمله الزخرفي الدقيق[7]. لقد استخدمت زينة

البابلي القديم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، 1996، ص123

(1) حمودة، حسن علي، فن الزخرفة، مصر، 1972، ص5.

(2) Dalton, O, M: Byzantin Art and Archeolog, New York, 1911, P. 700.

(3) الدليمي، كريم عزيز حسن، المصدر السابق، ص7

(4) Mallowan, M, E. L: Nimrud and its Remains, vol. II, Londo, 1960, P. 37.

(5) Reade, J, E, op. cit. P. 203.

(6) Mallowan, op. cit. P. 40.

(7) بارو، اندريه، بلاد آشور، ترجمة: عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، بغداد، 1980، ص290

زخرفة ورقة العنب في تجميل ألواح الخشب وتغطية الجدران والشبابيك وواجهات البيوت بوصفها نبات متسلق في فصل الخريف [1]. ولا بد من الإشارة إلى انتقال تأثيرات هذا الفن إلى الإغريق الذين استخدموه في أعمالهم الفنية أيضاً [2]، كما انتقلت الكثير من تأثيرات الفنون العراقية عامة ومنها الآشورية خصوصاً إلى فنون الرومان والإغريق، ومنها استخدام عنصر زخرفة أوراق العنب وعناقيده بدقة وزينة أجمل[3].

زخرفة ورقة العنب على مشاهد المنحوتات الجدارية

تعد المنحوتات الآشورية مشاهد وثائقية واضحة سجلت للبشرية جانباً مهماً من أعمال الملوك الآشوريين، فضلاً عن تصوير الأحداث والانجازات المتحققة من قبلهم [4]. وقد تم تكرار زخرفة ورقة العنب في منحوتات عدة ونفذت بدقة وواقعية كبيرة[5]. وكما ظهرت ورقة العنب بتصاميم متنوعة على المشاهد الفنية الآشورية وبأشكال مختلفة وبديعة، ومن ذلك تبدو هذه الزخرفة متعددة الأغصان وكثيرة التفرعات و ممتدة الجذور وفيها الحيوية العالية والمظهر الجمالي الرائع واللائق في معظم الوحدات الزخرفية [6]. وأن من أبرز المشاهد الفنية ذات العلاقة مشهد يمثل منحوتة من الحجر للملك شروكين الثاني (سرجون الآشوري)

(1) الدوري، علي حسين عبدالله، وعادل الراوي، إنتاج الفاكهة للأقسام المتخصصة في البستنة، الموصل، 2000، ص291.

(2) إن زراعة العنب في العصر الآشوري خاصة في المناطق الشمالية في البلاد كانت تتركز بين خطين عرض (34 . 35): للمزيد ينظر: الدوري، علي حسين عبدالله، المصدر السابق، ص286.

(3) Dalton, O, M, op. cit. P. 702.

(4) عكاشة، ثروت، تاريخ الفن العراقي القديم (سومر، بابل، آشور)، بغداد، 1967 . 1968، ص509.

(5) Madhloom, T, " Types of Trees " Sumer, Vol XXvv, 1970, P. 140

(6) بارو، اندريه، المصدر السابق، ص60.

(680-645 ق. م) تصور لنا أوراق العنب، علماً أن هذه المنحوتة تمثل حملة عسكرية للملك الآشوري وهي الحملة الثامنة على القبائل الجبلية المتمردة، إذ تظهر ورقة العنب ويتكرر ظهورها في المنحوتة عدة مرات من حيث السياق العام، و لم يحدث فيها تغير على النمط الذي نفذت فيها أوراق العنب، وإنما تعبير عن رغبة الفنان الآشوري في إعطاء السمة الطبيعية للمنطقة التي دارت فيها المعركة، فقد بدت أوراق العنب أكثر دقة وانتظاماً وواقعية في هذه المنحوتة، ومدى دقة الزخرفة وتفاصيلها في المنحوتة الآشورية[1] (ينظر الشكل 1). وفي مشهد آخر يصور حديقة القصر الملكي في نينوى و يظهر فيه الملك آشور . بان . ابلي (آشور بانيبال 668 . 627 ق. م) وهو جالس مع زوجته (آشور شرات) تحت ظلال أشجار الكروم، وقد غمرت مائدتهم بشتى أصناف الطعام في جو بهيج تحت أنغام الموسيقى، وفي المشهد يلاحظ زخرفة أوراق العنب ووحداته وأغصان الشجرة المتسلقة، وقد كان الفنان الآشوري دقيقاً في عملية التنفيذ والنقل من الحديقة الملكية، فتبرز الزخرفة واضحة على مشهد المنحوتة، وجسّدها بزينة أنيقة جداً[2](ينظر الشكل 2). وفي مشهد آخر تظهر ورقة العنب على منحوتة تعبر عن براعة الفنان الآشوري في إظهار تفاصيل زخرفة ورقة العنب خماسية الشكل، ومدببة الرؤوس ومتباعدة فيما بينها، إذ استخدم أوراق العنب، عن تقابل الفصوص، أما عناقيد العنب فقد بدت عليها الاستدارة في الشكل وهي بشكل عام لا تقل دقة عن الأوراق، فقد نفذت حباتها باستدارة كاملة، وهذه تعبر عن مهارة الفنان الآشوري، ويلاحظ في المنحوتة أيضاً شخصاً واقفاً وفي يده حبل يقيد كلباً، وزخارف ورقة العنب تزين المنحوتة من جميع الجهات لإعطاء منظر لائق للمنحوتة والقضاء على الفراغ الجامد، إذ حاول الفنان الآشوري توزيعاً منتظماً لأوراق العنب على المنحوتة[3](ينظر الشكل 3).

---

(1) Russell, J. M: Sennchеib Place at Ninevev univensity of Chicago, 2002, P. 18.

(2) Reade, J, Assyrian Sculpture, British museum, London, 1982, P. 68.

(3) Strommenger, Eva: the Art of Mesopotamia, London, 1974, P. 254.

زخرفة ورقة العنب على مشاهد الرسوم الجدارية

للرسوم الجدارية دور كبير وبارز ومؤثر في الجانب الإعلامي لما احتوته من رسومات وزخارف تمتاز بالجاذبية والجمال والفخامة والهيبة والتطور لدى الآشوريين[1].

ولقد نفذت هذه الرسوم على أساس أنها جزء من الدعاية الملكية، وان الرسوم الجدارية تمتلك جذوراً عميقة في الفن العراقي، ويرجع السبب في ذلك إلى تفنن الفنان في تكوين هذه الرسوم، وهذا ما يخلق انسجام تشكيلي ومتعة وبهجة للناظر[2]. وتقدر هذا العمل الرائع من خلال دراسة بعض من المشاهد والرسوم التي تصور عن هذا العمل الفني المبدع، في مشهد أو رسم تتجسد روعة الفنان الآشوري في رسم أوراق العنب المتسلقة على جدران احد القصور الآشورية، وأشجار الصنوبر تغرس حديقة الملك آشور بانيبال، إذ يبدو في أعلى المشهد بوضوح العصافير والجنود وهم واقفون أمام بوابة هذا القصر في ظل زخرفة أوراق العنب المثمرة، حيث نرى في هذا المشهد تفرعات عديدة تزين المساحة الخالية للمشهد[3](ينظر الشكل 4).

وثم لنا مشهد آخر يمثل زخرفة العنب من حملة الملك سين أخي أريبا (سنحاريب 701 ق. م)، برز الفنان في زخرفة أوراق العنب المتسلقة على هذه المنحوتة، تمثل في هذه المنحوتة تضاريس الأرض الموجودة فيها أوراق العنب، ارض وعرة وجبلية ترمز إلى الخصب والتجدد والعطاء[4] (ينظر الشكل 5). إذ نفذ الفنان أشكال ورقة العنب بدقة متناهية وعالية تنتج عن تراكم الخبرة وتواصلها عبر الأجيال الأخرى[5].

---

(1) شيت، أزهار هاشم، الدعاية والإعلام في العصر الآشوري الحديث (911 . 612 ق.م)،
(2) عكاشة، ثروت، المصدر السابق، ص195.
(3) Botta, P, E: Monument De Ninive, volume IIII Biblco verlay osnabvuch ,
(4) Botta, P, E, op. cit. P. 27.
(5) Olmstead, A, T, History of Assyria, London, 1952, P. 615.

زخرفة ورقة العنب على مشاهد المنحوتات المعدنية

عرف العراقيون القدماء المعادن منذ حقبة مبكرة واتبعوا طرق وأساليب مختلفة لاستخدامها في الفن الآشوري، ومنها زخرفة ورقة العنب فقد استخدموا النحاس والذهب والفضة والرصاص والقصدير وغيرها، وبرعوا في صناعة الحلي والأواني الدقيقة المزخرفة بالحفر والنقش بأسلوب فني رائع وجميل ومنظم [1]، كما اشتهر العراقيون في مجال الفنون التطبيقية والتشكيلية[2]. وثمة مشهد آخر يمثل تاجاً من الذهب يتألف من البدن يحيط بالرأس مكون من ثلاثة أسلاك قد تكون عمودية وبمسافات متساوية، وهذه تمثل أشكالاً هندسية جميلة ورائعة وفي غاية الدقة، وقد زين التاج بكرات مفلطحة الشكل وكبيرة، ومحاطة أيضاً بإطار دائري بارز، وتحيط به أضلاع مثلثة تشكل وردة نجمية وتتدلى أيضاً أشكال عنقودية سوداء اللون، ويستند إلى بدن التاج من الأعلى أشكال فتيات مجنحة، كل فتاة بأربعة أجنحة، ويستند على رؤوسهن سلك مزين بأوراق عنب مسننة ومتشابكة مع بعضها، تتوسطها وردة كبيرة، وتربط الأوراق والوردة أسلاك دقيقة تتدلى منها أشكال عنقودية سوداء تمثل ورقة العنب تزين مظهر التاج المصنوع من الذهب[3](ينظر الشكل 6).

وهكذا تبين أن زخرفة ورقة العنب تعود في أصلها التاريخي إلى العراق القديم ومن ثم اقتبسها الإغريق والرومان، و لا سيما في الحقبات المبكرة من تاريخ فنونهم، ثم شاعت بكثرة في الفنون العربية الإسلامية، في حين كان حضورها في الفنون العراقية القديمة على نطاق واسع وبشكل واقعي ودقيق[4].

---

(1) مظلوم، طارق عبدالوهاب، النحت في عصر فجر السلالات حتى العصر البابلي الحديث، حضارة العراق، ج4، بغداد، 1985، ص53.

(2) علام، نعمت إسماعيل، فنون الشرق الأوسط والعالم القديم، بغداد، 1975،ص173

(3) حسين، مزاحم محمود، وعامر سليمان، نمرود مدينة الكنوز الذهبية، بغداد، 200، ص373.

(4) Dalton, O, M. op. cit, P. 72.

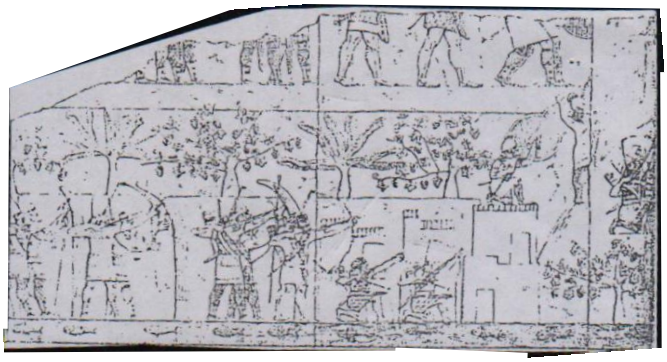

شكل رقم (1)

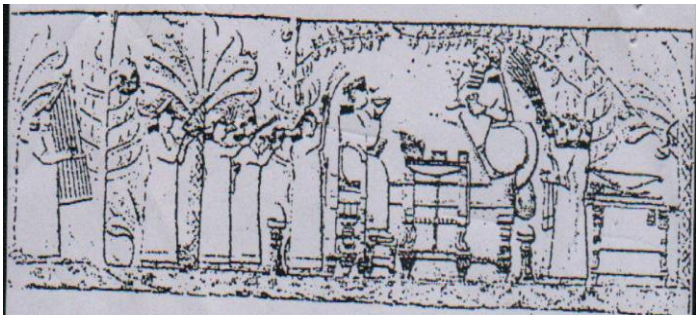

شكل رقم (2)

شكل رقم (3)

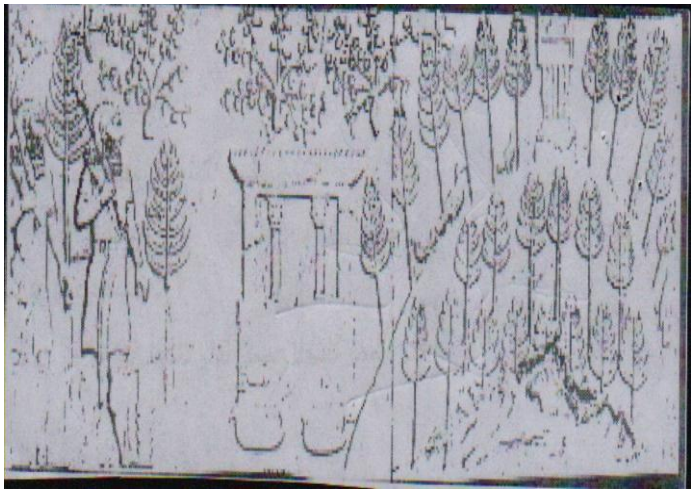

شكل رقم (4)

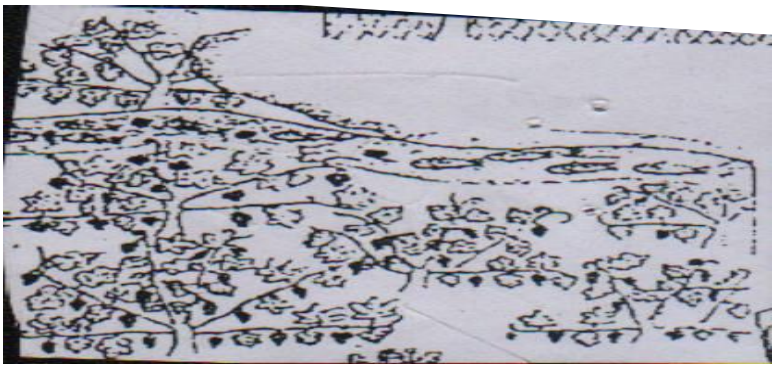

شكل رقم (5)

Decoration of Assyrian Grape Leaf

Hussein Z.Hamood, Ph.D & Ghassan M.AL-najaari, M.A

Abstract

Grape form economic perspective had a great significance in Mesopotamia. It had been mentioned repeatedly in the cuneiform texts referring to its fame and cultivation in Mesopotamia. Grape is a climbing tree and its leave fall soon. Its flowers are in the shape of smaller or bigger clusters with yellowish colour. Moreover, its fruits may differ in shape and size. Grapes are eaten in fresh shape and in dried one as a raisin. Assyrians extended from the environment in which were living elements of unique decoration. This study sheds light on the decorations made Assyrian on grape leaf on reliefs and landscapes.